الجزاء الإلهى لأعمال الإنسان

(الجزاء من جنس العمل)

د. سعود بن حمد الصقرى *

لقد أودع الله العليم الحكيم فى هذا الكون سنناً ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، ومن هذه السنن الإلهية : أن جزاء العامل يكون من جنس عمله ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر " جَزَاءً وِفَاقاً " (النبأ، الآية 26) ، وهى قاعدة مستقاة من نصوص كتاب الله وسنة رسو الله صلى الله عليه وسلم، وأقوال السف الصالح .

وقد تأملت هذا الموضوع ورأيت الكتابة فيه مناسبة لارتباطه بالعمل ، إذ العامل لا ينفك عن ذلك وسميته (الجزاء الإلهى لأعمال الإنسان : ألجزاء من جنس العمل) .

أسباب اختيار الموضوع :

1- لو وضعنا هذه السنة الإلهية نصب أعيينا لزجرتنا عن كثير من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا .

2- أن فى هذه السنة الإلهية أعظم مواساة للمظلوم المستضعف حيث تحمله على الصبر والثبات ، وثوقاً بموعود الله الذى يمهل ولا يهمل ويملى للظالم حتى إذا أخذه أخذه أخذ عزيز مقتدر .

3- أن لهذه السنة الإلهية أثاراً عظيمة النفع فى إصلاح الدين والدنيا وهذا الانتفاع وقف على أولى الألباب ، الذين يحكمون على الأمور بمآلاتها ، ويزنون الأفعال وعواقبها ، وهى فى المقام الأول دافعة للأعمال الصالحة ، ناهية عن الظلم فمثلاً لو أن الوصى على مال اليتامى سول له الشيطان أكله بالباطل ، فاستحضر قوله جل وعلا : " وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ

(*) الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة القصيم – المملكة العربية السعودية.

ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً "(النساء، أية 9)، لاتقى الله فيهم وقال قولاً سديداً للأيتام ، لا يزجرونهم ولا ينهرونهم ويخاطبونهم كما يخاطبون أولادهم بلطف وشفقة جبراً لكسر يتمهم وضعفهم، كى يحفظ الله ذريتهم من بعدهم " جَزَاءً وِفَاقاً " (النبأ، الآية 26) .

4- أن الإيمان بالجزاء الأخروى فرع عن الإيمان باليوم وهو عبارة عن إثابة للطائعين وعقاب للعاصين .

والواقع أن جزاء العامل من جنس عمله موضوع متشعب وبحث طويل لكننى سأقتصر بإذن الله على ما يتعلق ببعض أمور العقيدة .

التمهيد ويشمل مطلبين :

المطلب الأول : ارتباط الجزاء بأسماء الله الحسنى .

المطلب الثانى : معنى الجزاء .

المطلب الأول : ارتباطه بأسمال الله الحسنى .

ارتباط هذا البحث ظاهر بأسماء الله الحسنى كالحكم ، والحكيم ، والعدل، والحمد .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : (وكلماته صدق وعدل ، والعدل : وضع الأشياء مواضعها ، فمن عدله : أن يجعل الصادق عليه المبلغ لرسالته ، حيث يصلح من كرامته ونصره ، وأن يجعل الكاذب ، حيث يليق به من إهانته وذله ، قال تعال : " إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُفْتَرِينَ " (سورة الأعراف ، الآية 152) .

فمن أسمائه الحسنى الحكيم قال تعالى: "أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ" (سورة التين، الآية8)، فأوامره الكونية فى غاية الإحكام قال تعالى : " مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ " (سورة الملك، الآية 3).

وأوامره الشرعية فى غاية الإحكام والإتقان قال تعالى : " وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً " (سورة النساء ، الآية 82).

قال ابن القيم رحمه الله : (ومن أسمائه سبحانه "العدل والحكيم) الذى لا يضع الشئ إلا فى موضعه ، فهو المحسن الجواد الحكيم الحكم العدل فى كل ما خلقه ، وفى كل ما وضعه فى محله وهيأه له)[1].

فمن كان له نصيب من معرفة أسماء الله الحسنى واستقرا آثارها فى الخلق والأمر ، رأى الخلق والأمر منتظمين بها أكمل انتظام ، ورأى سريان آثارها فيهما وعلم بحسب معرفته بها ما يليق بكماله وجلاله أن يفعله وما لا يليق ، فاستدل بأسمائه على ما يفعله وما لا يفعله ، فإنه لا يفعل خلاف موجب حمده وحكمته [2].

قال تبارك وتعالى : " وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " (سورة القصص ، الآية 70) .

فالله سبحانه له الحمد فى هذه الدنيا إذ خلق الخلق بالحق قال تعالى : " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ " (سورة الأنعام ، الآية 1).

وهو جل شأنه له الحمد فى الدار الآخرة ، إذ تتحقق الغاية الحكيمة التى من أجلها خلق الخلق ، حمداً يعترف به الخلق كلهم عند اكتمال تحقق تلك الغاية والتى هى بالفصل بين الخلق والحكم لأهل الطاعة بالثواب والكرامة ، ولأهل المعصية بالعقاب والإهانة[3] قال جل شأنه :" وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ " (سورة الزمر ، الآية 75) .

فمن أنكر إثابة المحسن وعقاب المسىء فى الآخرة فقد أنكر إلهيته وربوبيته وملكه الحق وذلك عين الجحود والكفر به سبحانه .

وهو الحق قال تعال : " ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (سورة الحج ، الآية 6).

([1]) شفاء العليل (2/ 512- 513).

([2]) انظر طريق الهجرتين ، ص 130.

([3]) انظر طريق المهجرتين لابن القيم ، ص 131.

فالله سبحانه وتعالى يقضى بالحق وهو خير الحاكمين فى يوم يجمع فيه الأولين والآخرين، فى هذا اليوم يفصل به بين من كان على الحق ومن كان على الباطل ، بين المحسن والمسىء وبين الظالم والمظلوم ، يعطى كل امرئ الجزاء الذى يستحقه بحسب نتيجة ذلك الحكم والقضاء بالحق قال تعالى : " إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ " (سورة الجاثية ، الآية 17).

وقال جل شأنه: " الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ" (سورة الحج ، الآية 56، 57) .

قال ابن القيم رحمه الله : (فكما أن ذاته الحق ، فقوله الحق ووعده الحق وأمره الحق وأفعاله كلها حق ، وجزاؤه المستلزم لشرعه ودينه وللیوم الآخر حق... فكيف يظن بالملك الحق أن يخلق خلقه عبثاً وأن يتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم ...) [1].

وبهذا يتبين ارتباط أسماء الله الحسنى وصفاته العلى بهذه السنة الإلهية (إن جزاء العامل من جنس عمله) فالحق والعدل والحكم والحكيم والحمد تدل على ذلك.

المطلب الثانى : معنى الجزاء .

الجزاء :

هو المكافأة على الشئ ، يقال : جزاه به وعليه جَزاءً وجازاه مُجازاةً وجزاءً ... والجزاء يكون ثواباً ويكون عقاباً [2] أى ثواباً على العمل الصالح وعقاباً على العمل السئ .

والثوابُ :

جزاءُ الطاعة ، وكذلك المثوبةُ . قال الله تعالى : " لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ " (سورة البقرة ، الآية 103).

([1]) انظر بدائع الفوائد (4/ 165).

([2]) انظر لسان العرب (2/ 278) مادة (جزى).

وأعطاه ثوابه ومثوبتهُ ومثوبته أى جزاء ما عمله ، وأثابه الله ثوابه وأثوبهُ وثوبه أعطاه إياها . وفى التنزيل العزيز: "هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (سورة المطففين ، آية 36) أى جُوزوا[1].

و (المثابة) و (الثواب) الجزاء و (أثابهُ) الله تعالى فعل له ذلك [2].

أما معنى العقاب والمعاقبة (هو أن تجزى الرجل بما فعل سُوءاً ، والاسمُ العقوبة ، وعاقبة بذنبه معاقبة وعقاباً أخذه به ، وتعقبت الرجل : إذا أخذته بذنب كان منه) [3].

قال تعالى: "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ" (سورة النحل،الآية 126).

وسمى المجازاة على الذنب معاقبة لأجل المقابلة ، والمعنى : قابلوا من صنع بكم صنيع سوء بمثله) [4].

قال شيخ الإسلام رحمه الله : (كذلك فى الأعمال : المثوبات والعقوبات حذو القذة بالقذة ، فإنه إنما سمى الثواب ثواباً ، لأنه يثوب إلى العامل من عمله: أى يرجع ، والعقاب عقاباً لأنه يعقب العمل : أى يكون بعده ، ولو شاء الله أن لا يثيبه على ذلك العمل ، إما بأن لا يجعل فى العمل خاصة تقضى إلى الثواب أو لوجود أسباب تنفى ذلك الثواب أو غير ذلك لفعل سبحانه وتعالى وكذلك فى العقوبات) [5].

المبحث الأول : جزاء النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

الله سبحانه وتعالى أبقى على أنبيائه ورسله سلاماً وثناءً حسناً فيمن تأخر بعدهم جزاءً على صبرهم وتبليغهم رسالات ربهم ، واحتمالهم للأذى من أممهم فى الله .

([1]) انظر لسان العرب (2/ 145) مادة ثوَّب.

([2]) المصباح المنير (1/ 87) مادة (ثوبُ).

([3]) لسان العرب (9/ 305) مادة (عقب).

([4]) انظر تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى (5/ 531).

([5]) مجموع الفتاوى (8/ 397).

1- نوح عليه الصلاة والسلام :

لما انتشر الفساد فى الأرض وعم البلاء بعبادة الأصنام فيها ، بعث الله عبده ورسوله نوحاً عليه السلام يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عبادة ما سواه فكان أول رسول بعثه الله إلى الأرض كما ثبت فى الصحيحين . عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة قال : (.... فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح أنت أول الرُّسُل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا إلى ربك....) الحديث [1].

دعا نوح قومه ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهراً فلم يستجيبوا له حيث جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستكبروا استكباراً . فكان جزاء نوح عليه السلام أن الله أبقى له الثناء الحسن والذكر الجميل إلى يوم القيامة .

قال تعالى : " وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ . سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ " (سورةالصافات ، الآية 78 – 80) .

قال ابن عباس رضى الله عنه : قوله : " وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ " يذكر بخير ، وقال مجاهد رحمه الله : جعلنا لسان صدق للأنبياء كلهم ، وقال قتادة رحمه الله أبقى الله الثناء الحسن فى الآخرين) [2].

وقال البغوى رحمه الله أى أبقينا له ثناء حسناً وذكراً جميلاً فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة [3].

([1]) رواه البخارى فى صحيحه (4/ 105- 106) كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى: " إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِه " واللفظ للبخارى ، ومسلم فى صحيحه (1/ 184- 185) كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح (194).

([2]) انظر جامع البيان (19/ 561- 562)، وتفسير الماوردى (53/5) وتفسير القرآن العظيم (4/ 14).

([3]) تفسير البغوى (4/ 30).

وقال ابن جرير الطبرى رحمه الله : (وقوله : " سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ " أى أ منة من الله لنوح فى العالمين أن يذكره أحد بسوء) [1].

وقوله تعالى : " إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ " قال مقاتل رحمه الله : (جزاه الله بإحسانه الثناء فى العالمين) [2].

وقال القرطبى رحمه الله : (وقوله تعالى : " إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ " أى نبقى عليهم الثناء الحسن ، والكاف فى موضع نصب أى جزاء ذلك : " إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِينَ " هذا بيان إحسانه [3].

وقال ابن كثير رحمه الله : أى هكذا نجزى من أحسن من العباد فى طاعة الله تعالى نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته فى ذلك [4].

وقال ابن القيم رحمه الله : (وأخيراً أن هذا المتروك على نوح هو عام فى العالمين ، وأن هذه التحية ثابتة فيهم جميعاً ، لا يخلون منها ، فأدامها عليه فى الملائمة والثقلين، طبقاً بعد طبق، وعالماً بعد عالم، مجازاة لنوح عليه السلام بصبره ، وقيامه بحق ربه ، وبأنه أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض)[5].

2- يونس عليه السلام:

قال تعالى : " وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ " (سورة الصافات ، الآية 139) ، وذكره تعالى فى جملة الأنبياء الكرام فى سورتى النساء [6] والأنعام [7] عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام .

([1]) جامع البيان (19/ 562).

([2]) انظر تفسير البغوى (4/ 30) وزاد المسير (7/ 66).

([3]) الجامع لأحكام القرآن (15/ 90).

([4]) تفسير القرآن العظيم (4/ 14).

([5]) جلاء الأفهام (349).

([6]) سورة النساء ، الآيات (163- 165).

([7]) سورة الأنعام ، الآيات (84- 87).

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متّى) [1]. يونس النبى الكريم عليه الصلاة والسلام كان من الذاكرين الله قبل البلاء فذكره الله فى حال البلاء فأنقذه ونجاه قال تعالى : " وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَقَ إِلَى الفُلْكِ المَشْحُونِ . فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ المُدْحَضِينَ . فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ . فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (سورة الصافات، الآيات 139- 144).

قال ابن جرير رحمه الله : " فَلَوْلاَ أَنَّهُ " يعنى يونس ، " كَانَ مِنَ " المصلين لله قبل البلاء الذى ابتلى به ، من العقوبة بالحبس فى بطن الحوت " لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ " يقول : لبقى فى بطن الحوت إلى يوم القيامة ، يوم يبعث الله فيه خلقه محبوساً ، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء ، فذكره الله فى حال البلاء فأنقذه ونجاه ... وعن قتادة " فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ" كان كثير الصلاة فى الرخاء ، فنجاه الله بذلك) [2].

وقال القرطبى رحمه الله : (أخبر الله عز وجل أن يونس كان من المسبحين ، وأن تسبيحه كان سبب نجاته ؛ ولذلك قيل : إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر) [3][4].

ما هو التسبيح الذى كان سبباً فى إنقاذ يونس عليه السلام من بطن الحوت . قال ابن الجوزى رحمه الله : في ثلاثة أقوال : أحدها : من المصلين قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير .و الثانى : من العابدين قاله مجاهد ووهب ابن منبه. والثالث : قول " لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " (سورة الأنبياء : الآية 37) قاله الحسن [5].

([1]) رواه البخارى فى صحيحه (4/ 133) كتاب الأنبياء - باب قوله تعالى " وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ ".

([2]) انظر جامع البيان (19/ 627- 628).

([3]) هذا الأثر أخرجه أبونعيم فى حلية الأولياء (2/ 339) من طريق شيبان عن قتادة .

([4]) الجامع لأحكام القرآن (15/ 126).

([5]) زاد المسير (87/7) وللاستزادة فى معنى قوله تعالى " فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ " انظر جامع البيان

3- يوسف عليه الصلاة والسلام :

من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه قال تعالى : " وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ " (سورة يوسف : الآية 56). قال ابن جرير رحمه الله : (يتخذ من أرض مصر منزلاً حيث يشاء ، بعد الحبس والضيق) [1]، وقال ابن القيم رحمه الله: (أن من ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه ، فتأمل كيف جزاء الله سبحانه وتعالى على ضيق السجن أن مكّنه فى الأرض ينزل حيث يشاء ... وهذه سنته فى عباده قديماً وحديثاً إلى يوم القيامة [2]. والله لا يضيع أجر المحسنين ، فقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام محسناً مع ربه وأيضاً مع الناس وهما متلازمان فقد سمى الله قصته " أَحْسَنَ القَصَصِ " (سورة يوسف ، الآية 3) أى من أحسنه ، ورتب على الإحسان إيتاءه الحكم والعلم مع الشباب : " وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ " (سورة يوسف ، الآية 22). فجزاه الله من جنس عمله ، أحسن فأحسن الله إليه .

4- سليمان عليه الصلاة والسلام :

قال تعالى : " وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ . " إلى قوله تعالى : " فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ "(سورة ص ، من الآية 30- 36).

قال الحسن البصرى رحمه الله : (لما عقر سليمان الخيل غضباً لله عز وجل ، عوضه الله ما هو خير منها وأسرع ، الريح التى غدوها شهر ورواحها

(627/19- 630) وتفسير البغوى (4/ 43) وتفسير الماوردى (67/5).

(1) جامع البيان (220/13).

(2) روضة المحبين ، ص 441.

شهر) [1]. وقال ابن القيم رحمه الله : عنوان هذا الباب وقاعدته أن من ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه ... لما عقر سليمان بن داود عليهما السلام الخيل التي شغلته عن صلاة العصر حتى غابت الشمس سخر الله له الريح ؛ يسير على متنها حيث أراد [2].

المبحث الثانى : جزاء المؤمنين :

وعد الله أهل الإيمان به بالتفضل عليهم وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشر أمثالها إلى ما لا نهاية له من التضعيف .

قال تعالى: "مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا" (سورة الأنعام، الآية 160) .

قال القرطبى رحمه الله : (والحسنة هنا الإيمان ، أى من جاء بشهادة أن لا إله إلا الله فله بكل عمل عمله فى الدنيا من الخير عشر أمثاله من الثواب) [3].

وقال الله تعالى: "هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ" (سورة الرحمن، الآية 60).

قال ابن عباس رضى الله عنه : هل جزاء من قال : (لا إله إلا الله) وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إلا الجنة [4].

وقال البغوى رحمه الله فى معنى هذه الآية : (أى ما جزاء من أحسن فى الدنيا أن يُحسن إليه فى الآخرة) [5].

وقال تعالى: "إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ" (سورة الأعراف، الآية 56).

وقد اختص الله أهل الإحسان بقرب الرحمة منهم لأنها إحسان من الله أرحم الراحمين وإحسانه تعالى إنما يكون لأهل الإحسان لأن الجزاء من جنس العمل فكما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته وأما من لم يكن من أهل الإحسان فإنه لم يعد عن الإحسان بعدت عنه الرحمة بعداً ببعيد ، وقرباً بقرب ، فمن تقرب

([1]) انظر تفسير البغوى (4/ 60) وتفسير القرآن العظيم (4/ 42).

([2]) روضة المحبين (ص 441).

([3]) تفسير القرطبى (4/ 2587).

([4]) انظر تفسير البغوى (4م 276) وزاد المسير (8/ 123) ومجموع الفتاوى (15/ 28).

([5]) تفسير البغوى (4/ 576)

بالإحسان تقرب الله إليه برحمته ، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته ... والأحسان هو فعل المأمور به سواء كان إحساناً إلى الناس أو إلى نفسه فأعظم الإحسان الإيمان والتوحيد والإنابة إلى الله والإقبال عليه والتوكل عليه وأن يعبد الله كأنه يراه إجلالاً ومهابة وحياء ومحبة وخشية فهذا مقام الإحسان [1].

قال محمد رشيد رضا رحمه الله : (لأن الجزاء من جنس العمل ، فمن أحسن فى العبادة نال حسن الثواب ، ومن أحسن فى أمور الدنيا نال حسن النجاح ومن أحسن فى الدعاء استجيب له، أو أعطى خيراً مما طلبه .. وجزاؤه الإحسان فى كل شئ بحسبه [2] قال الله عز وجل : " هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ " (سورة الرحمن ، الآية 60) .

وهؤلاء المؤمنون أهل الإحسان لم قصدوا الهداية كافأهم الله بزيادة الهدى حيث وفقهم الله لها وثبتهم عليها ، وزادهم منها قال تعالى : " وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ "

قال شيخ الإسلام رحمه الله : (يجزى الرجل فى الدنيا على ما فعله من خير الهدى بما يفتح عليه من هدى آخر ولهذا قيل : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ... ومن هذا الباب قوله تعالى : " إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى " (سورة الكهف ، الآية 13) [3].

وقال ابن القيم رحمه الله : (ونظير هذا : هدايته لعبده قبل الاهتداء ، فيهتدى بهدايته ، فتوجب له تلك الهداية هداية أخرى ، يثيبه الله بها هداية على هدايته ، فإن من ثواب الهدى الهدى بعده كما أن من عقوبة الضلالة ، الضلالة بعدها ، قال تعالى : " وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى " فهداهم الله أولاً فاهتدوا ، فزادهم هدى ثانياً ، وعكسه فى أهل الزيغ كقوله تعالى : " فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ "

([1]) انظر إعلام الموقعين (1/ 160).

([2]) تفسير المنار (8/ 452).

([3]) مجموع الفتاوى (18/ 176).

(سورة الصف ، الآية 5) . فهذه الإزاغة الثانية عقوبة لهم على زيغهم)[1]. كما وعد الله أهل الإيمان والعمل الصالح بالحياة الطيبة قال تبارك وتعالى : " مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (سورة النحل ، الآية 97).

قال ابن كثير : (وهذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً ، و هو العمل المتابع لكتاب الله وسنة نبيه ، من ذكر أو أنثى من بنى آدم ، وقلبه مؤمن بالله ورسوله ، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله ، بأن يحييه حياة طيبة فى الدنيا وأن يجزيه أحسن ما عمله فى الدار الآخرة .

والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أى جهة كانت ، وقد روى عن ابن عباس وجماعة أنهم فسروها بالرزق الحلال الطيب ، وعنه أنها السعادة ، وقال الضحاك : هى الرزق الحلال والعبادة فى الدنيا [2]... والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله ..) [3].

وقال ابن القيم رحمه الله : (والصواب أن حياة القلب ونعيمه وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الهل ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه ؛ فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها ، ولا نعيم فوق نعيمه ، إلا نعيم الجنية) [4].

قال الله تعالى : " وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ " (سورة هود ، الآية 3).

فذكر الله سبحانه وتعالى ومحبته وطاعته والإقبال عليه ضامن لأطيب الحياة فى الدنيا والآخرة ، وأطيب الحياة على الإطلاق حياة هذا العبد فإنه محب محبوب ، متقرب إلى ربه ، وربه قريب منه .. جزاءً وفاقاً فإن الجزاء من جنس العمل .

([1]) مدارج السالكين (1/ 350)

([2]) انظر هذه الأقوال فى تفسير الطبرى (14/ 350- 351).

([3]) انظر تفسير القرآن العظيم (2/ 606- 607).

([4]) انظر مدارج السالكين (3/ 387).

وكتاب ربنا ملىء بهذه الآيات التى بينت أن جزاء الإنسان من جنس عمله فالمحسن يُسعد بإحسانه فى الدنيا والآخرة .. فمن هذه الآيات قول الله تبارك وتعالى: "لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ " (سورة النحل ، الآية 30).

وقوله تعالى : " لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ " (سورة الزمر ، الآية 10) .

وقوله تعالى : " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ "(سورة العنكبوت ، الآية 7).

وقوله تعالى : " أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ " (سورة الزمر ، الآية 22)، فلله الحمد أولاً وآخراً أن جعل جزاء أهل الهدى والإيمان من جنس أعمالهم وتفضل عليهم بمضاعفة الحسنات ، وجعل رحمته قريبة من المحسنين ، وزادهم هدى وتقوى ، وجعل لهم الحياة الطيبة التى تشمل وجوه الراحة من أى جهة كانت راحة بال وانشراح صدر واتساعه وسعادة ورزق حلال ومعرفة الله سبحانه ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه .

قال تبارك وتعالى: "هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ" (سورة الرحمن، الآية 60).

المبحث الثالث : جزاء الكافرين :

الله جل ثناؤه حكيم ، لا يضع شيئاً إلا فى موضعه الذى يستحق أن يضعه فيه ، ولا يجازى أحداً إلا بما يستحق من الجزاء قال تعالى : " وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا " (سورة الشورى ، الآية 40).

فالله وعد المسىء من عباده أن يجعل له بالواحدة من سيئاته مثلها مكافأة به على جرمه[1].

قال تبارك وتعالى: "ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ" (سورة سبأ ، الآية 17).

([1]) انظر تفسير الطبرى (19/ 259).

قال الطبرى رحمه الله : (هذا الذى فعلنا بهؤلاء القوم من سبأ من إرسالنا عليهم سيل العرم حتى هلكت أموالهم ، وخربت جناتهم ، جزاء منا لهم على كفرهم وتكذيبهم رسلنا) [1].

وهكذا يكون عقوبة الأمم التى كفرت بربها وعصوا رسله وجحدوا نعم الله مع تتابع إحسانه عليهم وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

وقال تبارك وتعالى : " وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ " (سورة الأنعام ، الآية 160).

قال الطبرى رحمه الله: ومن وافى يوم القيام منهم بفراق الدين الحق والكفر بالله فلا يجزى إلا ما ساءه من الجزاء ، كما وافى الله به من عمله السيىء[2].

وقال القرطبى رحمه الله : " وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ " يعنى : الشرك " فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا " وهو الخلود فى النار ؛ لأن الشرك أعظم الذنوب ، والنار أعظم العقوبة ، فذلك قوله تعالى : " جَزَاءً وِفَاقاً " يعنى : جزاء وافق العمل .. " وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ " أى : لا ينقص ثواب أعمالهم [3].

وهؤلاء الكفار لما أعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما جاء به من الهدى ومن الحق ، عاقبهم الله جلا وعلا بأن جعل على أبصارهم غشاوة ، ظلمة فهم لا يبصرون الهدى كما قال تعالى : " أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً " (سورة الجاثية ، الآية 23).

قال ابن القيم رحمه الله : (وغلظت على الكفار عقوبة لهم على إعراضهم ونفورهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجعل الغشاوة عليها ما يُشعر بالإحاطة على ما تحتها كالعمامة ، ولما عشوا عن ذكره الذى أنزله صار ذلك

([1]) تفسير الطبرى (19/ 258).

([2]) تفسير القرطبى (10/ 36- 37).

([3]) تفسير القرطبى (4/2587).

العشاء غشاوة على أعينهم فلا تبصر مواقع الهدى) [1].

قال تعالى : " وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ " (سورة الأنعام ، الآية 110).

قال ابن عباس رضى الله عنه فى هذه الآية : (ولما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شئ ، ورُدت عن كل أمر) [2].

وقال آخرون المعنى : " وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ " لتركهم الإيمان به أول مرة ، فعاقبناهم بتقليب أفئدتهم وأبصارهم ، وهذا معنى حسن ، فإن كان كاف التشبيه تتضمن نوعاً من التعليل . كقوله : " وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ " (سورة القصص ، الآية 77) . والذى حسن اجتماع التعليل والتشبيه : (الإعلام بأن الجزاء من جنس العمل فى الخير والشر) [3].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله : (وبإزاء ذلك أن الضلال والمعاصى تكون سبب الذنوب المتقدمة كما قال الله : " فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ " (سورة الصف، الآية 5) ولهذا قال من قال من السلف : (إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وأن من عقوبة السيئة السيئة بعدها) [4].

وأيضاً هؤلاء الكفار والمنافقون لا يسلم أحد من سخريتهم وعيبهم حتى من تصدق بماله لا يسلم منهم ، إن جاء أحدهم بمال جزيل قالوا : هذا مراء وإن جاء بشئ يسير قالوا : إن الله لغنى عن صدقة هذا . فكان جزاؤهم العذاب الأليم فى الآخرة على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين ، قال تبارك وتعالى : " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (سورة التوبة ، الآية 79). قال ابن كثير رحمه الله قوله : " فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ " هذا من باب المقابلة

([1]) شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (1/ 302).

([2]) انظر تفسير الطبرى (9/ 490) وتفسير ابن أبى حاتم (4/ 1369) رقم (7771).

([3]) انظر شفاء العليل (1/ 308).

([4]) انظر مجموع الفتاوى (18/ 177).

على سوء صنيعهم ، واستهزائهم بالمؤمنين ، لأن الجزاء من جنس العمل فعاملهم معاملة من سخر منهم انتصاراً للمؤمنين فى الدنيا أعد للمنافقين فى الآخرة عذاباً أليماً لأن الجزاء من جنس العمل [1].

وهؤلاء الكفار والمنافقون فى قلوبهم مرض وهو نوع فساد يحصل للقلب، يفسد به تصوره وإرادته ، فتصوره بالشبهات التى تعرض له حتى لا يرى الحق أو يراه على خلاف ما هو عليه ، وإرادته : بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار [2]. قال تعالى : " فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ " (سورة البقرة ، الآية 10).

قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم رحمه الله " فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ " هذا مرض فى الدين وليس مرضاً فى الأجساد ، وهم المنافقون ، و المرض : الشك الذى دخلهم فى الإسلام . " فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً " قال : زادهم رجساً ، وقرأ : " فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ ..." (سورة التوبة ، الآية 124، 125) قال شراً إلى شرهم وضلالة إلى ضلالتهم [3]. قال ابن كثير رحمه الله : (وهذا الذى قاله عبدالرحمن رحمه الله ، حسن ، وهو الجزاء من جنس العمل ، وكذلك قاله الأولون ، وهو نظير قوله تعالى : "وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ" (سورة محمد ، الآية 17) [4]. قال تعالى : " ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ " (سورة الروم ، الآية 10). قال قتادة رحمه الله : "الَّذِينَ أَسَاؤُوا" أى الذين أشركوا و "السُّوأى" أى النار [5]. وقال ابن كثير رحمه الله: (رأى

([1]) تفسر القرآن العظيم (2/ 390).

([2]) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (10/ 93) وللاستزادة فى تعريف مرض القلب انرظ لسان العرب (13/ 80) والقاموس المحيط (ص 843) وإغاثة اللهفان لابن القيم (1/ 9).

([3]) انظر تفسير الطبرى (1/ 289، 291).

([4]) تفسر القرآن العظيم (1/ 51) وقد فُسر هذا المرض أيضاً بالنفاق والرياء ، انظر النكت والعيون للماوردى (1/ 74).

([5]) تفسير الطبرى (18/ 466- 467).

السوأى عاقبتهم ؛ لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) [1].

وقال البقاعى رحمه الله : " ثُمَّ كَانَ " أى : كوناً تعذر الانفكاك عنه ، وهو فى غاية الهول كما أشار إليه تذكير الفعل " عَاقِبَةَ " أى : آخر أمر " الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأى " أى الحالة التى هى أسوأ ما يكون ، وهى خسارة الأنفس بالدمار فى الدنيا ، والخلود فى العذاب فى الآخرة ، جزاءً لهم بجنس عملهم ، فإنهم كما أساءوا الرسل ساءهم الملك ؛ لأجل تكذيبهم الرسل ، مستهينين " بِآيَاتِ اللَّهِ " أى الدلالات المنسوبة إلى الملك الأعلى الذى له الكمال كله ، الدالة على عظمها بعظمة "وَكَانُوا" أى : كوناً كأنه جبلة لهم " بِهَا " مع كونها شئ عند الهزء "يَسْتَهْزِءُونَ" ويستمرون على ذلك بتجديده فى كل حين مع تعظيمه حتى كان استهزاؤهم بغيرها كأنه عدم . إنهم لما أساءوا زادتهم إساءتهم عماوة حتى ارتكسوا فى العمى ، فوصلوا إلى التكذيب والاستهزاء ، الذى هو أقبح الحالات ، عكس ما يجازى به المؤمن مع أنه يزداد بإيمانه هدى) [2]. والله سبحانه يجزى الإنسان بجنس عمله ، فمن خالف الرسل عوقب بمثل ذنبه فإن كان قد قدح فيهم ونسب ما يقولونه إلى أنه جهل وخروج عن العلم والعقل ابتلى فى عقله وعلمه ، وظهر من جهله ما عوقب به ، ومن قال : عنهم إنهم تعمدوا الكذب أظهر الله كذبه ومن قال إنهم جهال أظهر الله جهله ...

والذين قالوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أبتر وقصدوا أنه يموت فينقطع ذكره عوقبوا بانبتارهم ، كما قال تعالى : " إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ " (سورة الكوثر ، الآية 3) . فلا يوجد من شنأ الرسول إلا بتره الله حتى أهل البدع المخالفون لسنته ، قيل لأبى بكر بن عياش [3] رحمه الله إن بالمسجد قوماً يجلسون للناس ويتكلمون بالبدعة ، فقال : من جلس للناس جلس الناس إليه، لكن

([1]) تفسير القرآن العظيم (3/ 437).

([2]) انظر نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (15/ 53- 54).

([3]) أبوبكر بن عياش الأسدى الكوفى ، المقرئ ، ثقة عابد مات سنة 194هـ، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين، وقد قارب المائة. انظر تقريب التقريب (ص 624).

أهل السنة يبقون ويبقى ذكرهم ، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم [1]. ولهذا كان من جزاء المبتدع والمفتر أن يذله الله فى الدنيا جزاء افتراه على الله وابتداعه شيئاً فى الدين لم يأمر به الله . فقد روى أبونعيم رحمه الله بسنده عن سفيان بن عيينة رحمه الله أنه قال : (ليس فى الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه ، قال : وهى فى كتاب الله ، قالوا : وأين هى من كتاب الله ؟ قال أما سمعتم قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا" (سورة الأعراف ، الآية 152) قالوا يا أبا محمد هذه لأصحاب العجل خاصة ، قال: كلا ! اتلوا ما بعدها نجزى المفترين) فهى لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة [2]. وقد تلا أبو قلابة[3] رحمه الله هذه الآية ثم قال : (فهو جزاء كل مفتر يكون إلى يوم القيامة أن يذله الله عز وجل) [4]. وقد روى اللالكائى رحمه الله بسنده قال : (رأى أيوب رجلاً من أصحاب الأهواء فقال : إنى لا أعرف الذلة فى وجهة ثم قرأ : "إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُفْتَرِينَ" ثم قال : هذه لكل مفتر) [5]. وأختم هذا المبحث بكلام نفيس لابن الجوزى رحمه الله حيث قال (اعلم أن الجزاء بالمرصاد، إن كانت حسنة أو كان سيئة . ومن الاغترار أن يظن المذنب إذا لم ير عقوبة أنه قد سومح ، وربما جاءت العقوبة بعد مدة ، وقل من فعل ذنباً إلا قوبل عليه قال الله عز وجل: " مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ" (سورة النساء ، الآية 123)... إلى أن قال رحمه الله: وأنا أقول عن نفسى : ما نزلت بى آفة ، أو غمّ ، أو ضيق صدر إلا بزلل أعرفه حتى يمكننى أن أقول: هذا بالشئ الفلانى ... فينبغى للإنسان أن يترقب جزاء الذنوب ،

([1]) انظر مجموع الفتاوى (13/ 171- 173).

([2]) حلية الأولياء (7/ 280).

([3]) هو عبدالله بن زيد بن عمرو الجرمى البصرى ، أبوقلابة ، قال ابن حجر ، ثقة فاضل كثير الإرسال أدرك خلافة عمر بن عبدالعزيز ، مات بالشام سنة 104هـ : حلية الأولياء (2/ 282) تقريب التهذيب (ص 304).

([4]) انظر تفسير الطبرى (10/ 464) ومنهاج السنة النبوية (6/ 179).

([5]) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى (1/ 143) رقم (289).

فقل أن يسلم منه وليجتهد فى التوبة ... فالويل لمن عرف مرارة الجزاء الـدائم ، ثم آثر لذة المعصية لحظة [1].

المبحث الرابع : الجزاء الأخروى

ويشمل عدة مطالب :

المطلب الأول : جزاء المؤمنين فى الآخرة .

المطلب الثانى : جزاء الكافرين فى الآخرة .

المطلب الثالث : حشر أعداء الله عمياً وصماً وبكماً .

المطلب الرابع : الشفاعة .

المطلب الخامس : رؤية البارئ عز وجل فى الآخرة .

المطلب السادس : الأمن من الفزع يوم القيام للمؤمنين .

المطلب السابع : موقف الناس فى الحساب .

المطلب الثامن : هداية المؤمنين يوم القيامة إلى طريق الجنة .

المطلب التاسع : رضا الله عن المؤمنين فى الآخرة .

([1]) انظر صيد الخاطر (ص 579- 582).

المبحث الرابع : الجزاء الأخروى:

تمهيد :

من مقاصد البعث بعد الموت مجازاة كل عامل بعمله ، وأعمال العباد تختلف اختلافاً كثيراً كما قال تعالى : " إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى " (سورة الليل ، الآية 4).

وقد وردت نصوص صريحة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تدل على إثبات جزاء الأعمال يوم القيامة . قال تعالى : " وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ " (سورة الزمر ، الآية 70) .

قال ابن جرير رحمه الله : (ووفى الله حينئذ كل نفس جزاء عملها من خير وشر وهو أعلم بما يفعلون فى الدنيا ، من طاعة أو معصية ولا يعزب عنه علم شئ من ذلك، وهو مجازيهم عليه يوم القيامة فمثيب المحسن بإحسانه والمسئ بما يشاء) [1].

قال تعالى : " وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (سورة آل عمران ، الآية 161) .

قال القرطبى رحمه الله: (قال علماؤنا رحمة الله عليهم فى قوله تعالى: "وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" إن ذلك على الحقيقة كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أى يأتى به حاملاً له على ظهره ورقبته، معذباً بحمله وثقله، ومرعوباً بصوته، وموبخاً بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد، وكذا مانع الزكاة)[2].

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن من منع الزكاة الواجبة فى أمواله ، أن الله تعالى يحول ذلك المال إلى صورة شجاع أقرع يأخذ بشدقى صاحبه ، ويقول له: أنا كنزك ، أنا مالك كما فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان ، يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه - يعنى شدقيه - ثم يقول :

([1]) تفسير الطبرى (20/ 264).

([2]) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (2/ 693).

أنا مالك ، أنا كنزك ثم تلا : " وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ " (سورة آل عمران ، الآية 180) الآية [1] – وأخبر جلا وعلا عن جزاء المؤمنين أن لهم الحسنى وهى الجنة وزيادة وهى رؤية البارئ تبارك وتعالى قال تعالى : " لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (سورة يونس ، الآية 26).

وقال تبارك وتعالى : " لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ " (سورة الأنبياء ، الآية 103).

كما أخبر صلى الله عليه وسلم عن تفريج الله لمن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا ابتغاء ثواب الله تعالى أن الله يجازيه بمثلها فى يوم القيامة فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه كربه من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) [2].

قال ابن حجر رحمه الله : (وفى الحديث حض على التعاون وحسن التعاشر والألفة ، وفيه أن المجازات تقع من جنس الطاعات) [3].

وقال النووى رحمه الله : (والستر المندوب إليه فى هذا الحديث المراد به الستر على ذوى الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفاً بالأذى والفساد ، فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلى ولى الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة لأن الستر على هذا يطمعه فى الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله هذا كله فى ستر معصية وقعت وانقضت أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها

([1]) صحيح البخارى (2/ 110– 111) كتاب الزكاة – باب إثم مانع الزكاة .

([2]) صحيح البخارى (3/ 98) كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ومسلم فى صحيحه (4/ 1996) كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، ج (2580).

([3]) فتح البارى (5/ 123).

على من قدر على ذلك ولا يحل تأخيرها فإن عجز لزمه رفعها إلى ولى الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة [1].

ويتجلى مظهر العدل فى الجزاء الأخروى : أن المجازاة على السيئات بالمثل قال جلا وعلا: " مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ " (سورة الأنعام ، الآية 160).

ولهذا كثير من العصاة المعاقبين يعذبون بعذاب إما من جنس معصيتهم الدنيوية أو ربما بنفس الأمر الذى عصوا الله تعالى بشأنه ، ومن أمثلة من يعذب بجنس معصيته الدنيوية ما قاله صلى الله عليه وسلم : (من سئل عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) [2].

فكاتم العلم قد سدَّ فاه بإرادته عن النطق بالعلم النافع فعوقب يوم القيامة بسدّ ذلك الفم بلجام من نار جزاء وفاقاً [3].

وأما معاقبة العاصى بنفس الأمر الذى عصا به ربه فمن أمثلته : ما يكون يوم القيامة من تعذيب تارك زكاة مالٍ ما ، بنفس المال الذى ترك زكاته ، وكذلك صاحب الغلول وقد تقدم ذكر الأحاديث الدالة على ذلك .

وقاعدة الحساب والجزاء يوم الدين يستوى فيها الرجال والنساء قال تبارك وتعالى : " لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً . وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً" (سورة الفتح، الآية 5، 6) فدلت هذه الآية على أن الرجال والنساء يتسوون فى الثواب كما أنهم يستوون فى العقاب . كما أن الإيمان بالجزاء الأخروى يدفع الإنسان إلى إخلاص عمله لله وحده لا شريك له، والبعد بعمله عن أى شائبة رياء أو سمعة قال جلا شأنه :

([1]) صحيح مسلم بشرح النووى (16/ 135).

([2]) سنن الترمذى (5/ 29) كتاب العلم، باب ما جاء فى كتمان العلم ح (2649) وقال الترمذى: حديث حسن.

([3]) انظر الجزاء الأخروى (ص 444- 445).

"وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً . إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً " (سورة الإنسان، الآيات 8- 10) . فهؤلاء المؤمنون قاموا بتلك الأعمال الصالحة لوجه الله تعالى ، طلباً لثوابه ورضاه ، لا يريدون عوضاً ولا شكوراً ، أطعمناكم رجاءً منا أن يُؤمّننا ربّنا ن عقوبته فى يوم شديد هَوْلُه ، عظيم أمره ، تعبسُ فيه الوجوه من شدة مكارهه ويطوى بلاء أهله ويشتد فجزاهم الله من جنس أعمالهم [1]. " فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً " (سورة الإنسان ، الآية 11) ، فدفع الله عنهم ما كانوا فى الدنيا يحذرون من شر اليوم العبوس القمطرير بما كانوا فى الدنيا يعملون ، بما يُرضى عنهم ربهم ، ولقاهم نضرة فى وجوههم وسروراً فى قلوبهم [2] جزاء وفاقاً ، وهذا مما تقتضيه حكمته وعدله جلا وعلا أن يجازى المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته .

المطلب الأول : جزاء المؤمنين فى الآخرة .

وقال تعالى : " إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً . حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً . وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً . وَكَأْساً دِهَاقاً . لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَّاباً . جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً " (سورة النبأ ، الآيات 31- 36).

قال قتادة رحمه الله : (أى : عطاء كثيراً ، فجزاهم بالعمل اليسير الخير الجسيم الذى لا انقطاع له) [3].

وقال الطبرى رحمه الله : (أعطى الله هؤلاء المقتين ما وصف فى هذه الآيات، ثواباً من ربك بأعمالهم على طاعتهم إياه فى الدنيا . وقوله " عَطَاءً " يقول: تفضيلاً من الله عليهم بذلك الجزاء ، وذلك أنه جزاهم بالواحد عشراً فى بعض ، وفى بعض الواحد سبعمائة ، فهذه الزيادة ، وإن كانت جزاء ، فعطاء من

([1]) انظر تفسير الطبرى (23/ 547).

([2]) تفسير الطبرى (23/ 550).

([3]) تفسير الطبرى (24/ 44).

الله وقوله " حِسَاباً " أى محاسبة لهم بأعمالهم لله فى الدنيا) [1].

وقال البغوى رحمه الله : (أى جازاهم جزاء وأعطاهم عطاءً حساباً أى كافياً وافياً) [2].

وقال جلا وعلا : " إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ . وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ " (سورة الحج ، الآيتين 23، 24).

هذا الهدى ثواب الاهتداء فى الدنيا ، كما أن ضلال الآخرة جزاء ضلال الدنيا ، وكما أن قصد الشر فى الدنيا جزاؤه الهدى إلى طريق النار [3].

كما قال تعالى : " احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الجَحِيمِ " (سورة الصافات الآيتين 22، 23). أى أرشدوهم إلى طريق جهنم[4]. فجزاء العامل من جنس عمله .

والله جلا وعلا لما ذكر جزاء المقربين من أهل الجنة كما فى سورة الواقعة قال : " جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (سورة الواقعة ، الآية 24).

قال الإمام البقاعى رحمه الله : (لما أبلغ فى وصف جزائهم بالحسن والصفاء ، دل على أن أعمالهم كانت كذلك ؛ لأن الجزاء من جنس العمل ، فقال تعالى : " جَزَاءً " أى فعل لهم ذلك لأجل الجزاء ، " بِمَا كَانُوا " جبلّة وطبعاً "يَعْمَلُونَ" أى يجددون عمله على جهة الاستمرار [5].

وقال تعالى : " وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً . عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً " (سورة الإنسان ، الآيتين 17، 18) فأخبره سبحانه عن العين التى

([1]) تفسير الطبرى (24/ 44).

([2]) تفسير الطبرى (4/ 439).

([3]) انظر مجموع الفتاوى (18/ 175).

([4]) تفسير القرآن الكريم العظيم (4/ 5).

([5]) نظم الدرر (19/ 205).

يشرب بها المقربون صرفاً ، أن شراب الأبرار يمزج منها ؛ لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله، فأخلص شرابهم ، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم ..)[1].

وكما ذكر الله تعالى جزاء المؤمنين الذين صبروا على سوء خطاب الجاهلين لهم قال تعالى: " أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً " (سورة الفرقان ، الأية 75).

قال ابن القيم رحمه الله : (تأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الأقوال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله، الغرفة، والتحية والسلام فى مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم، فُبدلوا بذلك سلام الله، وملائكته عليهم)[2].

وقال تعالى : " وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ . سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ " (سورة الرعد ، الآيتين 23، 24).

قال ابن الجوزى رحمه الله : (تعبوا فأريحوا ، وزهدوا فأبيحوا ، زال نصبهم وارتفع تعبهم، وحصل مقصودهم ، ورضى معبودهم) [3].

وهؤلاء المؤمنون يوم القيامة يضحكون من الكفار مقابلة ما ضحك بهم أولئك فى الدنيا فالجزاء من جنس العمل قال تعالى : " فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ . عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ . هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ " (سورة المطففين ، 34- 36).

قال الطبرى رحمه الله : " هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ " يقول تعالى ذكره : هل أُثيب الكفار ، وجُزُوا ثواب ما كانوا فى الدنيا يفعلون بالمؤمنين ، من سخريتهم منهم ، وضحكهم بهم ، بضحك المؤمنين منهم فى الآخرة ، والمؤمنون على الأرائك ينظرون ، وهم فى النار يعذبون) [4].

([1]) انظر حادى الأرواح (ص 201).

([2]) حادى الأرواح (ص 155).

([3]) التبصرة (2/ 214- 215).

([4]) تفسير الطبرى (24/ 229).

وقال محمد الطاهر عاشور رحمه الله : (وأفادت فاء السببية فـي قولـه : "فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ " أن استهزائهم بالمؤنين فى الـدنيا كـان سبباً فى جزائهم بما هو من نوعه فى الآخرة ، إذ جعل الله الذين آمنوا يـضحكون من المشركين ، فكان جزاءً وفاقاً) [1].

وقال أبوالسعود رحمه الله " يَضْحَكُونَ " وتقديم الجار والمجـرور تحقيقـاً للقصر والمقابلة ؛ أى فاليوم هم من الكفار يضحكون ، لا الكفار منهم ، كما كـانوا يفعلون فى الدنيا .

" هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ " فإنه صريح فى أن ضـحك المـؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم فى الدنيا ، فلابد مـن المجانـسة والمـشاكلة حتمـاً ، والتثويب والإثابة والمجازاة) [2].

وقد بينت الآيات السابقات أن جزاء الإنسان من جـنس عملـه فهـؤلاء المؤمنون حسنت منهم الأعمال فأحسن الله لهم الجزاء ، اهتدوا فى الـدنيا فهـدوا إلى طريق الجنة ، صبروا على خطاب الجاهلين وكان جزائهم التحية والسلام مـن الله والملائكة .

المطلب الثانى : جزاء الكافرين فى الآخرة .

قال تعالى : " إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً . لِلطَّاغِينَ مَآباً . لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً. لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً . إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً . جَزَاءً وِفَاقاً " (سورة النبـأ ، الآيات 21- 26).

قال ابن عباس رضى الله عنه فى معنى قوله تعالى " جَـزَاءً وِفَاقـاً " أى وافق أعمالهم [3]. وقال قتادة رحمه الله : (وافق الجزاء أعمـال القـوم ، أعمـال

([1]) التحرير والتنوير (30/ 214).

([2]) تفسير أبى السعود (5/ 248).

([3]) أخرجه ابن أبى حاتم كما فى الإتقان (2/ 52) وابن جرير فى تفسيره (24/ 3) وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (6/ 308) إلى ابن المنذر.

السوء) [1]. وقال ابن زيد رحمه الله (عملوا شراً فُجُزوا شراً ، وعملوا حسناً فجُزُوا حسناً ، ثم قرأ قول الله : " ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى " (سورة الروم ، الآية 10) [2]. وقال مجاهد رحمه الله (وافق الجزاء العمل) [3]. وقال ابن جرير الطبرى رحمه الله : (هذا العقاب الذى عُوقب به هؤلاء الكفار فى الآخرة ، فعله بهم ربهم " جَزَاءً " يعنى ثواباً لهم على أفعالهم وأقوالهم الرديئة التى كانوا يعملونها فى الدنيا) [4].

وقال مقاتل رحمه الله : (وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار) [5]. هؤلاء الكفار اتخذوا دينهم لهواً ولعباً واغتروا بالدنيا وزينتها وزخرفها وتركوا أمر الله وضيعوه ، ونسوا لقاء الله يوم القيامة حيث تركوا العمل لذلك اليوم وكذبوا به فكان جزائهم أن تركوا فى العذاب . قال تعالى : " الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ " (سورة الأعراف ، الآية 51). قال ابن جرير رحمه الله : (يقول الله جل ثناؤه : " فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا " أى: ففى هذا اليوم، وذلك يوم القيامة ننساهم ، يقول : نتركهم فى العذاب المهين جياعاً عطاشاً ، بغير طعام ولا شراب، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ، ورفضوا الاستعداد بإتعاب أبدانهم فى طاعة الله .. وعن مجاهد " فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ " قال : نُسوا فى العذاب ، .. وعنه : نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا) [6]. وقال ابن كثير رحمه الله : (أى يعاملهم معاملة من نسيهم ؛ لأنه تعالى لا يشذ عن عمله شئ ولا ينساه، كما قال تعالى : " فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى " (سورة طه ، الآية

([1]) أخرجه ابن جرير فى تفسيره (24/ 33).

([2]) أخرجه ابن جرير فى تفسيره (24/ 33).

([3]) تفسير مجاهد (ص 721) وذكر ابن جرير فى تفسيره (24/ 34).

([4]) تفسير الطبرى (24/ 32).

([5]) تفسير البغوى (4/ 439).

([6]) انظر تفسير الطبرى (10/ 237، 238).

52). إنما قال تعالى هذا من باب المقابلة ، كقوله: " نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ " ، وقال : " كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى " (سورة طه ، الآية 126) ، وقال تعالى: "الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا" (سورة الجاثية ، الآية 34) وعن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى – رضى الله عنهما – قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً ، وسخرت لك الأنعام والحرث ، وتركتك ترأس وتربع ، فكنت تظن أنك مُلاقى يومك هذا ؟ قال : فيقول لا ، فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتنى) [1] قال تعالى : " وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " (سورة الحشر ، الآية 19). قال ابن كثير رحمه الله : أى لا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التى ينفعكم فى معادكم ، فإن الجزاء من جنس العمل ؛ ولهذا قال تعالى: "أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" أى الخارجون عن طاعة الله ، الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم [2] وقد بينت هذه الآيات الكريمات أن جزاء الكافرين من جنس أعمالهم ، عملوا شراً فُجزوا شراً ، فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار ، نسوا الكفار حق الله الذى أوجبه عليهم ، فأنساهم حق أنفسهم وتركوا فى العذاب جزاء وفاقاً .

المطلب الثالث : حشر أعداء الله عمياً وصماً وبكماً .

أعداء الله كانوا فى حياتهم الدنيا يتعامون عن رؤية الحقيقة وعن النظر فى آيات الله تعالى والتفكر بها وتدبرها ، ويسدّون أسماعهم حتى لا يصل إليها شئ من الحق ، وإن وصل لا يحاولون أن يتدبروه ، وإن علموا شيئاً م الحق ، كتموه ، ولم يتحدثوا به ، بل تواصوا على كتمانه، كما كانت قلوبهم عمياً عن الإيمان وأبصارهم مفتوحة إلى الشهوات فجازاهم الله فى أرض المحشر بالعمى

([1]) سنن الترمذى (4/ 619) كتاب صفة القياة ، باب (6) ح (2428) وقال الترمذى : هذا حديث صحيح غريب وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير (2/ 1325) رقم (7997).

([2]) تفسير القرآن العظيم (4/ 366).

الحقيقى والصم الحقيقى والبكم الحقيقى جزاء وفاقاً [1]. قال تعالى : "مَن يَهْدِ اللَّـهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا" (سورة الإسراء، الآية 97) . قال ابن كثير رحمه الله : قوله "عُمْيًا" أى لا يبصرون ، "وَبُكْمًا" يعنى لا ينطقون ، "وَصُمًّا" أى لا يسمعون . هذا يكون فى حال دون حال ، جزاء لهم ، كما كانوا فى الدنيا بكماً وعمياً وصماً عن الحق فجزوا فى محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه) [2]. وقال شيخ الإسلام رحمه الله : (فأخبر الضالين فى الدنيا يحشرون يوم القيامة عمياً وبكماً وصماً ، فإن الجزاء من جنس العمل [3] والعمى المذكور فى الآية هو عمى البصر و ذلك لوجود قرائن تدل على هذا ، منها قوله تعالى : "قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا" (سورة طه ، الآية 125) ، فصرح بأن عماه هو العمى المقابل للبصر وهو بصر العين ؛ لأن الكافر كان فى الدنيا أعمى القلب ، كما دلت على ذلك آيات كثيرة من كتاب الله [4]. قال ابن القيم رحمه الله : (والذين رجحوا أنه من عمى البصر قالوا: السياق لا يدل إلا عليه ... وأنه جوزى من جنس عمله ، فإنه لما أعرض عن الذكر الذى بعث الله به رسوله وعميت عنه بصيرته : أعمى الله بصره يوم القيامة وتركه فى العذاب كما ترك هو الذكر فى الدنيا ، فجازاه على عمى بصيرته عمى بصره فى الآخرة ، وعلى تركه ذكره تركه فى العذاب) [5]. وقد ثبت فى آيات أخرى أن الكفار يسمعون ويبصرون ويتكلمون كما قال تعالى : "أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا" (سورة مريم ، الآية 38). وقال تعالى: "وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا" (سورة السجدة، الآية 12) فهل بين هذا

([1]) انظر الجزاء الأخروى (1/ 433).

([2]) تفسير القرآن العظيم (3/ 69).

([3]) مجموع الفتاوى (18/ 175).

([4]) أضواء البيان (4/ 597).

([5]) انظر مفتاح دار السعادة (1/ 59).

تعارض؟ وقد أجاب العلماء عن هذا من عدة وجوه :

الوجه الأول :

ما استظهره أبوحيان من كون المراد مما ذكر حقيقته ويكون ذلك فى مبدأ الأمر ، ثم يرد الله تعالى إليهم أبصارهم ونطقهم وسمعهم ، فيرون النار ويسمعون زفيرها ، وينطقون بما حكى الله عنهم فى غير موضع .

الوجه الثانى :

أنهم لا يرون شيئاً يسرهم ، ولا يسمعون كذلك ، ولا ينطقون بحجة ، كما أنهم كانوا فى الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ولا يسمعونه ... فنزل ما يقولونه ويسمعونه ويبصرونه منزلة العدم لعدم الانتفاع به .

الوجه الثالث :

أن الله إذا قال لهم: اخسؤوا فيها ولا تكلمون ، وقع بهم ذلك العمى والصم والبكم من شدة الكرب واليأس من الفرج قال تعالى : "وَوَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لاَ يَنطِقُونَ" ، وعلى هذا القول تكون الأحوال الثلاثة مقدرة [1].

وقال ابن القيم رحمه الله : (وعلى هذا فهم ما بين الحشر الأول من القبور إلى الموقف ، والحشر الثانى من الموقف إلى النار ، فعند الحشر الأول : يسمعون ويبصرون ، ويجادلون ويتكلمون وعند الحشر الثانى : يحشرون على وجوههم عمياً وبكماً وصماً فلكل موقف حال يليق به ، ويقتضيه عدل الرب تعالى وحكمته ، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً) [2].

المطلب الرابع : الشفاعة :

أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الشفاعة يوم القيامة [3] على وفق

([1]) انظر دفع إيهام الاضطراب ، ضمن أضواء البيان (9/ 188).

([2]) انظر مفتاح دار السعادة (1/ 60- 61).

([3]) نص على إجماع السلف فى إثبات الشفاعة جملة من الأئمة والمصنفين منهم الأشعرى رحمه الله فى رسالته إلى أهل الثغر ص 164 والقاضى عياض رحمه الله كما فى شرح النووى لصحيح مسلم (3/ 35) والسفارينى رحمه الله كما فى لوامع الأنوار البهية (2/ 208).

ما ورد فى النصوص الشرعية من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، ولم ينكر الشفاعة أوبعض أنواعها إلا المبتدعة .

قال أبوحاتم وأبوزرعة رحمهما الله : (أدركنا العلماء فى جميع الأمصار.. فكان من مذهبهم .. الشفاعة حق) [1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وأما شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم ، وأنكرها كثير من أهل البدع) [2].

وقد ذكر الإمام أبوبكر الآجورى رحمه الله فى كتاب الشريعة باباً بعنوان (باب وجوب الإيمان بالشفاعة) قال فى آخره بعد أن ذكر عدة نصوص فى إثبات الشفاعة : (بطلت حجة من كذب بالشفاعة ، والويل له إن لم يتب) ثم روى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : (ومن كذّب بالشفاعة فليس له فيها نصيب) [3] [4].

المطلب الخامس : رؤية البارئ عز وجل فى الآخرة :

أجمع أهل الحق على أن الله تعالى يُرى فى الآخرة [5].

قال الإمام أبوإسماعيل الصابونى رحمه الله : (ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى يوم القيامة بأبصارهم ، وينظرون إليه على ما

([1]) عقيدة أبى حاتم الرازى وأبى زرعة (ص 199).

([2]) مجموع الفتاوى (1/ 148) و (11/ 184- 185).

([3]) رواه الآجرى فى الشريعة (3/ 1211) ح (777) وقال محققه : إسناده صحيح ، وذكره ابن حجر فى فتح البارى (11/ 520) ، وقال : رواه سعيد بن منصور بسند صحيح .

([4]) الشريعة (3/ 1210).

([5]) نص على إجماع السلف فى هذه المسألة الأشعرى رحمه الله رسالته إلى أهل الثغر (ص 134) وعبدالغنى المقدسى رحمه الله فى الاقتصاد فى الاعتقاد (ص 125) والبغدادى رحمه الله فى الفرق بين الفرق ص 335 وابن القيم فى حادى الأرواح (ص 300).

ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) [1].

وقد بلغت أحاديث الرؤية مبلغ التواتر [2]، وهى تفيد العلم القطعىّ بإجماع المسلمين. قال تعالى: " لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ " (سورة يونس، الآية 26).

يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل فى الدنيا بالإيمان والعمل الصالح الحسنى فى الدار الآخرة [3]، قال ابن جرير رحمه الله : (ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الحسنى والزيادة ، اللتين وعدهما الله المحسنين من خلقه ، فقال بعضهم : الحسنى هى الجنة ، جعلها الله للمحسنين من خلقه جزاء . والزيادة عليها ، النظر إلى الله تعالى) [4]. وقد ثبت فى صحيح مسلم [5] عن النبى صلى الله عليه وسلم تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل فى الجنة وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان ، لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه فى الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه فى حال عبادته ، فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عياناً فى الآخرة . وعكس هذا ما أخبر الله تعالى به عن جزاء الكفار فى الآخرة : " كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ " (سورة المطففين ، الآية 15) وجعل ذلك جزاء لحالهم فى الدنيا ، وهو تراكم الرَّان على قلوبهم ، حتى حُجبتْ عن معرفته ومُراقبته فى الدنيا ، فكان جزاؤهم على ذلك أن حُجبوا عن رؤيته فى الآخرة [6]، قال ابن القيم رحمه الله : (فصل فى وعيد منكرى الرؤية قال عبدالله بن المبارك رحمه الله: ما حَجَب الله عنه أحداً إلا عذّبه ثم قرأ قوله تعالى: " ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ . ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ" (سورة المطففين، الآية 16،

([1]) عقيدة السلف أصحاب الحديث ، ص 65.

([2]) انظر شرح الطحاوية (ص 209) وحادى الأرواح (ص 310).

([3]) تفسير القرآن العظيم (2/ 429).

([4]) تفسير الطبرى (12/ 156).

([5]) (1/ 163) كتاب الإيمان - باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى من حديث صهيب رضى الله عنه رقم (181) وابن خزيمة فى كتاب التوحيد (1/ 443) - (444) ح (258) .

([6]) جامع العلوم والحكم لابن رجب (1/ 125- 126).

17) قال : بالرؤية [1]. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أكثر من خمسة وعشرين صحابياً رووا عن النبى صلى الله عليه وسلم الأحاديث الدالة على الرؤية، ثم قال: (فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن ، ونتلقاها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر، لا بالتحريف والتبديل، وضيق العطن، ولا نكذب بها، فمن كذَّب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين، و كان عنه يوم القيامة من المحجوبين)[2].

المطلب السادس : الأمن من الفزع يوم القيامة للمؤمنين .

قال تعالى : " فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ " (سورة الأنعام، الآية 81). قال محمد بن إسحاق رحمه الله : (أى بالأمن من عذاب الله فى الدنيا والآخرة ، الذى يَعْبُدَ الذى بيده الضرُّ والنفع ، أم الذى يَعْبُدُ مالا يَضُرُّ ولا ينفع ؟ يضرب لهم الأمثال ويُصرف لهم العبر ، ليعلموا أن الله هو أحقُّ أن يخاف ويعبد مما يعبدون من دونه) [3]، ثم أخبر الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمن فى الآية الأخرى حيث قال جلا وعلا : " الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ " (سورة الأنعام ، الآية 82) فهؤلاء الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانه بشرك " لَهُمُ الأَمْنُ " يوم القيام من عذاب الله " وَهُم مُّهْتَدُونَ" المصيبون سبل الرشاد والسالكون طريق النجاة جزاء[4] وفاقاً آمنوا بالله ولم يخلطوا إيمانهم بشئ من معانى الظلم ، فلم يفعلوا ما نهى الله عن فعله، ولم يتركوا ما أمر الله بفعله، فكان جزاؤهم الأمن والطمأنينة فى الدنيا وعند الموت .

قال تعالى : " لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ " (سورة يونس ، الآية 64) وقال تبارك وتعالى: " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا

([1]) انظر حادى الأرواح لابن القيم (ص 353).

([2]) انظر حادى الأرواح لابن القيم (ص 310- 311).

([3]) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (4/ 1331، 1332) رقم (7535، 7536) وابن جرير فى تفسيره (9/ 366).

([4]) انظر تفسير الطبرى (9/ 378).

وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ " (سورة فصلت ، الآية 30) .

والأمن من الفزع يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى : " مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ . وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " (سورة النمل ، الآيتين 89، 90) فمن جاء الله بتوحيده والإيمان به وقول : لا إله إلا الله موقناً به قلبه ، فله من هذه الحسنة عند الله خير يوم القيامة ، وذلك الخير أن يثيبه الله منها الجنة، ويؤمنه من فزع الصيحة الكبرى ، وهى النفخ فى الصور [1]، " وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ " أى من جاء بالشرك يوم يَلقاه ، وجُحود وحدانيته ، " فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ " فى نار جهنم جزاء ما كنتم تعلمون بما يسخط ربكم فالجزاء من جنس العمل .

وقد ذكر فى كتاب الله فى أكثر من عشرة مواضع بيان جزاء المؤمنين الذين عملوا الصالحات أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون [2].

المطلب السابع : موقف الناس فى الحساب .

المؤمنون ينقلبون إلى أهلهم مسرورين مستبشرين والكفار يكتئبون ويتندَّمون كما قال: "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ" (سورة الروم، آية12).

قال الطبرى رحمه الله: (يوم تجئ الساعة الى فيها يفصلُ الله بين خلقه، ويَنشُر فيها الموتى من قبورهم ، فيحشرهم إلى موقف الحساب ، " يُبلِسُ المُجْرِمُونَ " ييأس الذين أشركوا بالله، واكتسبوا فى الدنيا مساوئ الأعمال من كل شر ، ويكئبون ويتندَّمون) [3].

قال مجاهد رحمه الله " يُبْلِسُ " يكتئبُ [4].

([1]) انظر تفسر الطبرى (18/ 139).

([2]) انظر هذه المواضع فى كتاب الله فى كل من سورة البقرة الآية (62، 38، 274، 262، 112، 277)، وفى سورة آل عمران الآية 170، وفى سورة المائدة الآية 69، وفى سورة الأنعام الآية 48، وفى سورة الأعراف الآية 35، وفى سورة يونس الآية 62، وفى سورة الأحقاف الآية 13.

([3]) تفسير الطبرى (18/ 468).

([4]) تفسر مجاهد (2/ 499- 500) وتفسير الطبرى (18/ 468).

فالمؤمنون : يحاسبون حساباً يسيراً ، وهو العرض فقط دون المناقشة .

والكفار : يدعون على أنفسهم بالثبور ، وهو الهلاك ، ومنه : الموطأة على الشئ سميت مثابرة ، لأنه كان يريد أن يهلك نفسه فى طلبه .

وهنا مقابلة عجيبة بالغة الأهمية ، وذلك بين سرورين أحدهما آجل والآخر عاجل .

فالأول فى حق من أوتى كتابه بيمينه ، أنه ينقلب إلى أهله مسروراً . والآخر سرور عاجل، وهو لمن أعطوا كتبهم بشمالهم ؛ لأنهم كانوا فى أهلهم مسرورين فى الدنيا ، وشتان بين سرور وسرور .

وهنا يقال : أن الله سبحانه لم يجمع على عبده خوفين ، ولم يعطه الأمنين معاً فمن خافه فى الدنيا آمنه فى الآخرة ، ومن أمن مكر الله وقضى كل شهواته وكان لا يبالى فيؤتى كتابه بشماله ويصلى سعيراً فالجزاء من جنس العمل [1].

المطلب الثامن : هدايَة المؤمنين يوم القيامة إلى طريق الجنة .

قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ " (سورة يونس ، الآية 9).

هذا إخبار عن حال السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وامتثلوا ما أمروا به فعملوا الصالحات بأنه سيهديهم بإيمانهم ، يحتمل أن تكون الباء ههنا سببية فتقديره أى بسبب إيمانهم فى الدنيا يهديهم الله يوم القيامة على الصراط المستقيم حتى يجوزوه ويخلصوا إلى الجنة[2].

فكان الإيمان والعمل الصالح فى الدنيا سبب هدايتهم إلى الجنة وثباتهم يوم تزل الأقدام على الصراط فالله – سبحانه – يهديهم بسبب إيمانهم إلى مأواهم ومقصدهم وهى الجنة [3].

([1]) انظر أضواء البيان (9/ 117– 118).

([2]) تفسير القرآن العظيم (2/ 422).

([3]) تفسير أبوالسعود (2/ 633).

قال ابن القيم رحمه الله : (فمن هُدى فى هـذه الـدار إلـى صـراط الله المستقيم الذى أرسل به رسله ، وأنزل به كتبه ، هدى هناك إلى الصراط المستقيم، الموصل إلى جنته ودار ثوابه وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الـصراط الـذى نصبه الله لعباده فى هذه الدار ، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم . وعلى قدر سيره على الصراط يكون سيره علـى ذاك الـصراط ... جـزاء وفاقاً " هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " (سورة النمل ، الآية90)[1] ثم إذا دخل أهل الجنة قالوا:" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا " (سورة الأعراف ، الآية 43) بمعنى هداهم لهذا الجزاء فى الدنيا بالعمل الصالح والتثبيت على الهداية والتوفيق لها فى الآخرة حتى أوصلهم لهذه الدرجات العليا من الجنة.

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنـار فَـيقصُّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونُقّوا أذن لهم فـى دخول الجنة ، فو الذى نفس محمد بيده ، لأحدهم أهدى بمنزله فـى الجنـة منـه بمنزله الذى كان فى الدنيا) [2] وقد يجزى الرجل فى الدنيا على ما فعله مـن خيـر الهدى بما يفتح عليه من هدى آخر ، ولهذا قيل : من عمل بما علم ورثه الله علـم ما لم يعلم .. قال تعالى : " وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَـاهُمْ تَقْـوَاهُمْ " (سـورة محمد ، الآية 17)[3].

المطلب التاسع : رضا الله عن المؤمنين فى الآخرة .

إن الرضا عن الله فى جميع الحالات يثمر للعبد رضا الله عنه ، فإن الجزاء من جنس العمل [4]. قال ابن القيم رحمه الله (ورضا الله عن العبد أكبر من الجنـة

([1]) انظر مدارج السالكين (1/ 32).

([2]) صحيح البخارى (7/ 197) كتاب الرقاق – باب القصاص يوم القيامة .

([3]) انظر مجموع الفتاوى (18/ 176).

([4]) مدارج السالكين (2/ 236).

وما فيها ، لأن الرضا صفة الله والجنة خلقه ، قال الله تعالى : "وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّـهِ أَكْبَرُ" بعد قوله: " وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (سورة التوبة، الآية 72) وهذا الرضا جزاء على رضاهم عنه فى الدنيا، ولما كان الجزاء أفضل الجزاء كان سببه أفضل الأعمال)[1].

وقال تعالى : " لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (سورة المجادلة ، الآية 22).

قال ابن كثير رحمه الله : (وفى قوله تعالى : " رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ " سر بديع ، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر فى الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم ، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم ، والفوز العظيم والفضل العميم) [2]. وقال ابن القيم رحمه الله : (فتضمنت هذه الآيات : جزاءهم على صدقهم وإيمانهم وأعمالهم الصالحة ، ومجاهدة أعدائه ، وعدم ولايتهم ، بأن رضى الله عنهم ، فأرضاهم ، فرضوا عنه ، وإنما حصل لهم هذا بعد الرضا به رباً وبمحمد نبياً ، وبالإسلام ديناً) [3].

الخاتمة :

وفيها ذكر أهم نتائج البحث :

1- لو وضعنا هذه السنة الإلهية نصب أعيننا لزجرتنا عن كثير من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا .

([1]) مدارك السالكين (2/ 242).

([2]) تفسير القرآن العظيم (4/ 532).

([3]) مدارج السالكين (2/ 212).

2- أن لهذه السنة الإلهية آثاراً عظيمة فى إصلاح الدين والدنيا .

3- أن فى هذه السنة الإلهية أعظم مواساة للمظلومين المستضعفين حيث تحمله على الصبر والثبات وثوقاً بموعود الله الذى يمهل ولا يهمل .

4- أن ارتباط هذا البحث ظاهر بأسمار الله الحسنى كالحكم والحكيم والعدل .

5- أن الله جلا وعلا أبقى على أنبيائه ورسله سلاماً وثناءً حسناً فيمن تأخر بعدهم جزاءً على صبرهم وتبليغهم رسالات ربهم .

6- أن المحسن يُسعد بإحسانه فى الدنيا والآخرة .

7- أن جزاء المبتدع والمفتر أن يذله الله فى الدنيا جزاء افتراه على الله وابتداعه شيئاً فى الدين ...

8- أن من مقاصد البعث بعد الموت مجازاة كل عامله بعمله .

9- أن المجازات تقع من جنس الطاعات ، فمن فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة .

10- أن من مظاهر العدل فى الجزاء لأخروى : أن المجازات على السيئات بالمثل، فتارك زكاة مالٍ ما يعذب بنفس المال الذى ترك زكاته وكذلك صاحب الغلول.

11- أن الحساب والجزاء يوم الدين يستوى فيهما الرجال والنساء .

12- أن الإيمان بالجزاء الأخروى يدفع الإنسان إلى إخلاص عمله لله ، والبعد بعمله عن الرياء والسمعة .

13- أن جزاء الإنسان من جنس عمله ، فالمؤمنون حسنت منهم الأعمال فأحسن الله لهم الجزاء ، اهتدوا فى الدنيا فهدوا إلى طريق الجنة ، وصبروا على خطاب الجاهلين فكان جزاؤهم التحية والسلام من الله والملائكة .

14-أن الكفار عملوا شراً فجزوا شراً ، فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار ، نسوا الكفار حق الله الذى أوجبه عليهم ، فأنساهم حق أنفسهم وتركوا فى العذاب جزاء وفاقاً.

15- أن الضالين فى الدنيا يحشرون يوم القيامة عمياً وبكماً وصماً فإن الجزاء من جنس العمل.

16- أن من كذّب بالشفاعة فليس له فيها نصيب .

17- أن من أحسن العمل فى الدنيا بالإيمان والعمل الصالح فله الحسنى فى الدار الآخرة وهى الجنة ، والنظر إلى وجهه الكريم . ومن كفر بالله لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين ، وكان يوم القيامة من المحجوبين .

18- أن جزاء الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك ، الأمن من عذاب الله فى الدنيا والآخرة ، والطمأنينة فى الدنيا وعند الموت ، والأمن من الفزع يوم القيامة .

19- أن من خاف الله فى الدنيا أمنه فى الآخرة ، ومن أمن مكر الله وقضى كل شهواته ، وكان لا يبالى ، يؤتى كتابه بشماله ويصلى سعيراً فالجزاء من جنس العمل .

20- أن من هُدى فى هذه الدار إلى صراط الله المستقيم ، هُدى هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذى نصبه الله لعباده فى هذه الدار ، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم جزاء وفاقاً .

21- أن الرضا عن الله فى جميع الحالات يثمر للعبد رضا الله عنه .

22- أن أهل الإيمان لم سخطوا على القرائب والعشائر فى الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم بما أعطاهم من النعيم المقيم .

23- أسأل الله الكريم بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن رضوا عنه فأرضاهم وممن أحسنوا العمل فأحسن الله لهم الجزاء إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد .